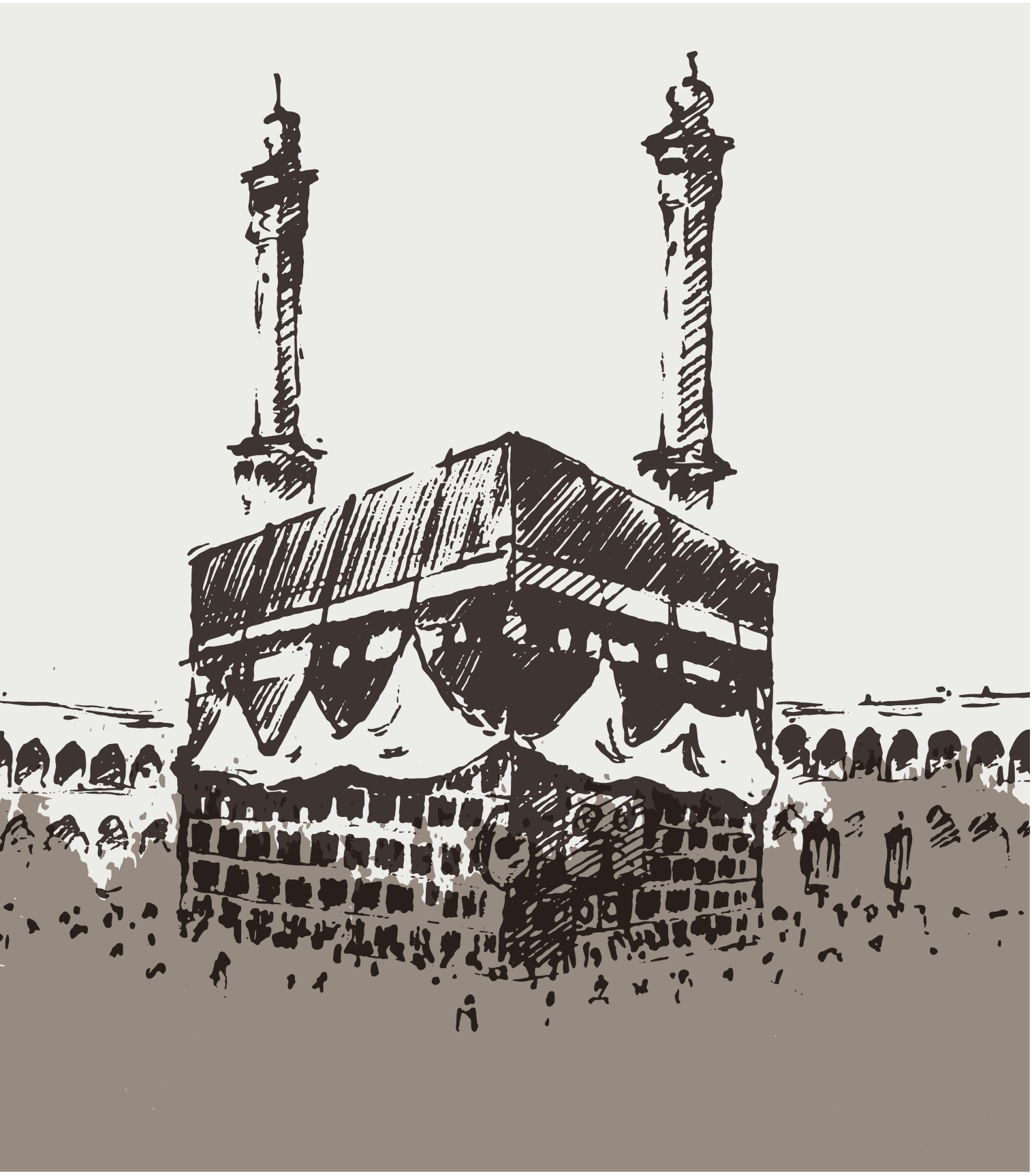

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

١ «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ،

٢ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ،

٣ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ،

٤ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١٧٠)

(١٧٠) رواه البخاريُّ (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

آيات

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٥].
- ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾[مريم: ٩٥].
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].
- ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

الراوي

هو: أبو طريفٍ، عَدِيُّ بنُ حاتمِ بنِ عبدِ الله بنِ سعدٍ الطائيُّ ﷺ، أَسلَم سنة ٩هـ، وقيل: ١٠ هـ، وكان نصرانيًّا قبل ذلك، ولمَّا توفِّي رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَدِم على أبي بكر الصدِّيق ﷺ في وقت الرِّدَّة بصَدَقة قَوْمِه، وثبت على الإسلام ولم يرتَدَّ، وثَبَت قومه معه، شَهِد فتح العراق، وشَهِد مع عليٍّ ﷺ الجَمَل وصِفِّين والنهروان، وفُقِئت عينُه يوم الجمل، ومات بالكوفة سنة ٦٧ هـ، وهو ابن مِائة وعشرين سنةً[1].

خلاصة

يذكر النبيُّ ﷺ أن الإنسان سيقف يوم القيامة للحساب بين يدي ربه، يُكَلِّمه ربُّه من غير مترجم أو وسيط، وحينها لا يجد الإنسانُ نافعًا له غير عملِه.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ٢١٩٠)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٠٥٧)، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٤/ ٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/ ٣٨٨).

١ يخبر النبيُّ ﷺ أنَّه ما من أحدٍ إلا وسيقف بين يدي ربه، يحاسبه على ما عمل، يُكَلِّمه من غير **وسيط أو مترجم**، بل يأتيه فردًا ليس معه من يشفع له أو يُدافع عنه، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

٢ فإذا وقف العبد بين يدي ربِّه لم يجد نصيرًا أو شفيعًا إلا عمله؛ يبحث من حوله عمَّن ينجيه من هول العذاب ومناقشة الحِساب؛ فإنَّ «مَن نُوقِش الحِسابَ هَلَك»(١٧١)، فينظر عن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا عمله، ثم يَنظُر أمامه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. والسبب في ذلك: أن النار تكون في ممرِّه فلا يمكِنُه أن يَحِيد عنها؛ إذ لا بدَّ له من المرور على الصراط»(١٧٢).

(١٧١) رواه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦).

(١٧٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر (١١/ ٤٠٤).

٣ وإذا كان هذا حالَ العبدِ يوم القيامة، فالأَوْلى به أن يَحذَر النار، ويرجو النجاةَ منها، فلا يُقْدِم إلَّا على صالح الأعمال وأفضلِها، وأن يحرص على التقرُّب إلى الله في كلِّ وقت وحين، وأن لا يستقِلَّ شيئًا من الطاعات، مهما كان صغيرًا؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(١٧٣)، ومن تلك الأعمال اليسيرة التصدق بما يطيقه الإنسان، ولو كان ذلك نصفَ تمرة.

٤ وإن كنتَ لا تَملِك شيئًا تتصدقُ به، فحسبك بالكلمة الطيبة في مرضات الله، فربَّما كانت سببًا لنجاتك من النار.

٥ إن الله تعالى يقبل العمل الصالح، والعبرة بما يكون في قلب العبد لا فيما يقدمه، فرب نصف تمرة كانت عند الله تعالى أعظم من إنفاق الذهب والفضه.

(١٧٣) رواه مسلم (٢٦٢٦).

الثّبات

١ دلَّ الحديثُ على أنَّ الإنسانَ مرهونٌ بعمله، لا ينفعه أحدٌ من أهله أو أصدقائه من عذاب الله. فعلى كلِّ مسلمٍ أن يُحسن العمل، ويجمع من الحسنات ما تحميه من النار.

٢ دلَّ الحديث على أنه لا يصح احتقارِ شيءٍ من العمل؛ سواءً كان عملًا صالحًا أو فاسدًا؛ فإنَّ أعظم الجبال تكونت من تراكم الحصى وحبَّات الرمل.

٣ جَاءَ سَائِلٌ إِلَى بَابِ عَائِشَةَ ﵂، فَقَالَتْ لِجَارِيَتِهَا: «أَطْعِمِيهِ»، فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ، فَقَالَتْ لَهَا: مَا وَجَدْتُ شَيْئًا أُطْعِمُهُ، قَالَتْ: «ارْجِعِي فَابْتَغِي لَهُ»، فَرَجَعَتْ فَوَجَدتْ تَمْرَةً فَأَتَتْ بِهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «أَعْطِيهِ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا مَثَاقِيلَ ذَرَّةٍ إِنْ تُقُبِّلَتْ»[١٧٤].

٤ من أعظم الأعمال التي تُبعد العبدَ عن النَّار الصدقةُ، ولهذا أمر بها ﷺ في الحديث، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

٥ اللسانُ إما أن يُورد العبدَ إلى جنات الخلد، وإما أن يسوقه إلى نار جهنم والعياذ بالله، فمصير الإنسان مرهون بلسانه إما أن يكون سبب نجاته أو هلاكه.

٦ على المسلم أن يسعى في جميع طرق الخير وألا يحقر من المعروف شيئاً.

٧ إن الإنسان لن ينجو من سؤال الله له يوم القيامه، فعليه أن يحسن العمل في الدنيا كي يحسن الجواب يوم القيامة.

٨ إن العمل الذي يعمله الإنسان في الدنيا سيكون رفيقه يوم القيامة؛ فعلى المؤمن أن يختار الرفيق قبل أن يصل إلى نهاية الطريق.

٩ إذا كانت الصدقةُ تنجي صاحبها في الآخرة من عذاب النار، فإنها تنفعه في دنياه كذلك؛ فقد أخبر ﷺ أنَّ رجلًا سمع صوتًا في السماء يقول لسحابة: اسقِ حديقةَ فلانٍ، فتحركت السحابةُ حيث أُمرت واتبعها الرجل لينظر ما يكون من أمرها، فوصلت السحابةُ إلى الحديقة المأمورة بسقيها، فأفاضت ماءها فيها، فنظر الرجلُ فوجد صاحبَها، فسأله عن حاله، فأخبره أنَّه يتصدق بثُلُثِ ما يخرج منها، ويأكل هو وأهله من الثلث الثاني، وينفق على الحديقة من الثلث الأخير[١٧٥].

---

(١٧٤) رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٣١٩٠).

(١٧٥) رواه مسلم (٢٩٨٤).

قال الشاعر:

استثمِرِ الخَيْرَ في دُنياكَ واجتهِدِ ... ولا تُبَالِ بداعي الشرِّ والحسَدِ
واعْمَلْ ليومٍ جميعُ الناس تَرقُبُه ... فيه القضاءُ قضاءُ الواحدِ الأحدِ
أفعالُكَ اليومَ تحكي أيَّ منزلةٍ ... رَوْضُ الجنانِ أمِ النيرانُ في اللَّحَدِ